بحث العمانيين في شرق أفريقيا

الإعداد السُهاد البوسعيدية

الفهرس

م	الفصل	المحتوى	رقم الصفحة
١		قائمة تدقيق للمراجعة/البحث	٣
٢		ملخص ومقدمة البحث	٥-٧
٣	الفصل الأول	أبرز العوامل التي ساعدت العرب على الهجرة في شرق أفريقيا	٨-١٢
٤	الفصل الثاني	العامل البشري والهندسة المعمارية جزء لا يتجزأ من العولمة الثقافية في شرقي أفريقيا .	١٢-١٦
٥	الفصل الثالث	الجانب الثقافي والعمراني الذي أسهمه وجود العمانيين في الساحل الأفريقي	١٦-١٩
٦	الفصل الرابع	إنصهار العمانيين السكاني في زنجبار:	١٩-٢٦
٧		الخاتمة	٢٧
٨		قائمة المراجع	٢٨-٣٠

قائمة تدقيق للمراجعة/البحث

- **استخدمت عمليه العصف الذهني و خريطة المفاهيم، أو موجزا لبناء و تنظيم أفكار( )**
- **جمعت معلومات كلية لأفهم الموضوع جيدا .( )**
- **استخدمت المصادر التي تعالج الموضوع كليا.( )**
- **استخدمت المصادر التي تعكس وجهات نظر مختلفة.( )**
- **تم الإشارة إلى المصادر المهمة.( )**
- **استخدمت مصادر حديثة. ( )**
- **كانت مصادري من أصول موثقة.( )**
- **استخدمت معلومات من المراجع والشبكات العنكبوتية الموثقة.( )**
- **استخدمت مجلات محكمة موثقة.( )**
- **استخدمت مصادر الكترونية موثقة.( )**
- **استخدمت أجزاء من دراسات الماجستير والدكتوراه التاريخية جمع المعلومات.( )**
- **استخدمت الأعمال الوثائقية موقع وزارة التراث.( )**
- **استخدمت مواد المراجع (الموسوعات، القواميس، قواميس المعاني، الأطلس ....الخ)**
- **استخدمت المصادر المطبوعة (الكتب، المجلات).( )**
- **قمت بتركيب الأفكار من مصادر عدة مختلفة.( )**
- **استخدمت كلماتي في أثناء العرض .( )**
- **استخدمت مصادر متنوعة وثيقة الصلة.( )**

- **سجلت مصدر كل معلومة قمت بجمعها( )**
- **استخدمت المواد طبقا لحقوق النشر( )**
- **استشهدت بمصادري مستخدمة الصيغة المطلوبة.( )**
- **قائمة المصادر موجودة( )**
- **استخدمت المصادر بطريقة أخلاقية و ملائمة( )**
- **بحثي واضح و مركز ولم أخرج عن الموضوع.( )**
- **يمكنني تلخيص موضوع في جمل قليلة( )**
- **افهم موضوعي وأستطيع شرحه لأي شخص بسهولة( )**
- **التفاصيل في تقريري تعطي القارئ معلومات مهمة.( )**
- **أفكاري ترتبط بعضها ببعض( )**
- **استخدمت مصادر ذات معلومات تساند النقاط الرئيسية لدي.(**

<u>التطبيقات</u>

١) قبل أن تبدأ بحثك، هل تعتقد أن إجاباتك عن أسئلتك الأساسية ستكون مفيدة للندوة التي ستعقد بمشيئة الله تعالى ؟ نعم .

ملخص ومقدمة البحث

هناك إثباتات كثيرة موثقة بالأدلة التاريخية وكذلك العلمية كتبت في العديد من الأبحاث وكذلك الدراسات المتعددة تشير إلى أن العرب لهم أثرا واضح ساعدهم على التعرف كي يسلكوا ا طريقهم إلى سواحل شرق إفريقيا وكان ذلك تحديدا منذ فجر ما قبل ظهور الإسلام، ومن ثم ترسخت واعتادت بعدها أقدامهم ليرسموا طريقهم فيها على مدى الأزمنة دون أي إنقطاع حتى يومنا هذا و حتى أصبحت أجزاء من الجزيرة العربية في مدة زمنية و حقبة تاريخية يحكم من زنجبار. ومما لا يدع مجالا للشك أن هناك عاملا مهما ساعد العرب المسلمين وسهل لهم ذلك وهو العامل الجغرافي وما لعبه من دور هام في هذا الجانب لهذا الأقليم الرائع ، ناهيك على أن الجميع يعلم بأن هذا الإقليم ليس بينه وبين إقليم شبه الجزيرة العربية سوى تلك المساحة من الماء. وقد أثر ذلك تأثيرا كبيرا وايجابيا في نفس الوقت حيث ساعد في نشر الثقافة العربية الإسلامية على طول امتداد مثل هذه السواحل والتي تأثرت بها لدرجة كبرى فقد غطت جميع جوانب ومجالات الحياة، وانعكست كذلك ايضا فيما يعرف باللغة السواحلية وما يتضمنها من فنون الأدب بوجه الخصوص.وقد أقيمت مؤتمرات عديدة وندوات عدة متعلقة بمختلف وجهات النظر حول أهم القضايا التي تتعلق بالدور العماني على وجه الخصوص وما لعبه في شرق أفريقيا وذلك من خلال تقصي الوثائق التاريخية من أجل التعرف على التاريخ العماني وفترة وجوده سواء تلك القديمة منها أو الحديثة وكذلك القيام بدراسات وتحليلات عن ما قدمه له من معطيات سواء كانت تلك المعطيات في الجوانب السياسية اوالاقتصادية والاجتماعية وقد تم مناقشة واستعراض العامل الجغرافي على وجه الخصوص لأنه أعتبر رافدا حيويا وداعما أساسيا من دعائم الوجود العماني و ما قدمه من دراسة في جانب هام من جوانب الإنتاج اللغوي وكذلك الأدب العربي بالإضافة إلى تراكم الإنتاج اللغوي السواحيلي في شرق أفريقيا وكذلك أهم وأبرز الأطر الاجتماعية التي كانت تسود هذا الإقليم من اعراف وعادات وقيم وكذلك تقاليد بالإضافة إلى النظم المعيشية التي أثرت ولا زالت مؤثرة حتى الآن (تأثيراً وتأثرا بالبيئة العمانية

والأفريقية والعكس) ولا ننسى ما لعبته اجهزة الإعلام المقروء والمسموع في إثراء فكر المشاهد والقارئ عن الحياة الثقافية في شرق أفريقيا وكذلك ما تعكسه وقائع المخطوطات والوثائق والآثار المترتبة على ذلك من : المعوقات وسبل علاجها وتطويرها.وفي هذا الجانب سوف أتحدث عن محورين حول تاريخ الحضارة الإسلامية في شرق إفريقيا وهي : المحور الجغرافي :

– العوامل الجغرافية الطبيعية والبشرية ودورها في هجرة المسلمين إلى شرق أفريقيا.

– أثر العمارة الاسلامية في نمط العمران الأفريقي.

الأهداف العامة للبحث :

- **التعريف بشرق أفريقيا وطبيعتها الجغرافية والبشرية**
- **معرفة الدور الكبير الذي لعبه العرب في شمال افريقية**
- **مدى التأثير الذي لعبه الوجود العماني في شمال أفريقيا**
- **العوامل التي ساعدت العرب المسلمين على الهجرة لشمال أفريقيا**

أسئلة البحث :

- **ما هي العوامل الجغرافية الطبيعية والبشرية التي لعبت دورا في هجرة المسلمين إلى شرق أفريقيا ؟**
- **كيف أثرت العمارة الاسلامية في نمط العمران الأفريقي؟.**

التعريف بشرق أفريقيا ودولها :

شرق أفريقيا أو أفريقيا الشرقية هي المنطقة الشرقية من قارة أفريقيا، والمتمثلة في الدول التالية:

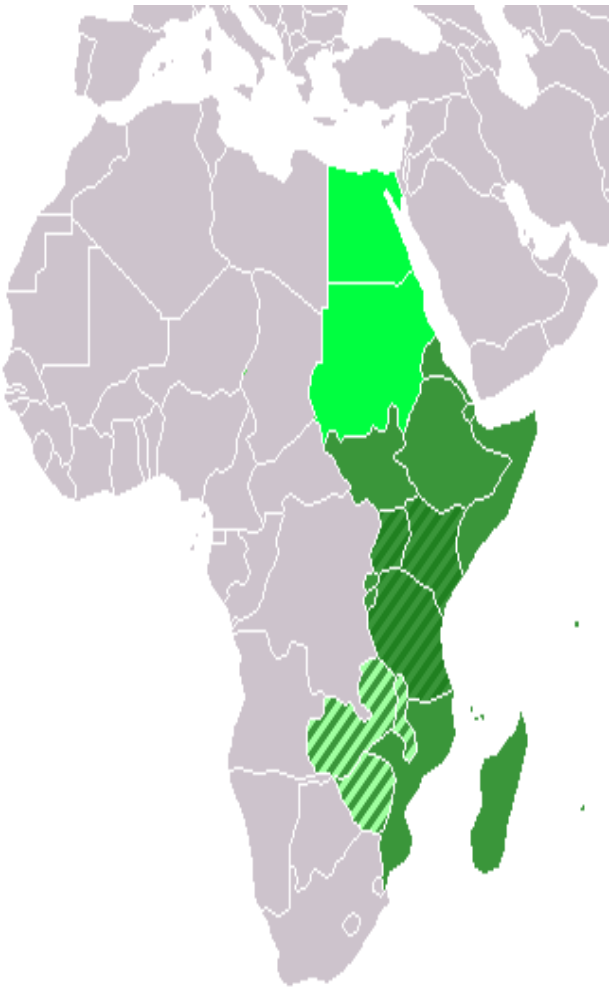

- **كينيا**
- **تنزانيا**
- **أوغندا**
- **جيبوتي**
- **إرتيريا**
- **إثيوبيا**
- **الصومال**
- **موزمبيق**
- **مدغشقر**
- **ملاوي**
- **زامبيا**
- **زيمبابوي**
- **بوروندي**
- **رواندا**
- **جزر القمر**
- **موريشيوس**

الفصل الأول

المبحث الأول : أبرز العوامل التي ساعدت العرب على الهجرة في شرق أفريقيا

كان الهدف الأكبر من إتصال العرب بأفريقيا هو التجارة وتبادل السلع التجارية وكانت أولى الهجرات إلى افريقيا هي تلك التي عرفها الإسلام ايام رسولنا الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة حين إشتد أذى المشركين على المسلمين فكانت هجرتهم ووجهتم هي إلى النجاشي على أرض الحبشة، وهذه كانت هي أولى خطوات الإسلام في أفريقيا ، ثم توالت الأحداث وتبعتها اليام وأخذ الإسلام ينتشر انتشارا كبيرا حتى دخل وتغلغل شمال إفريقيا، وبعد أن إنهارت خلافة الأمويين ، إضطر بعض الأمويين إلى الهروب حيث توجهوا نحو الأندلس في حين جانب آخر منهم قد ذهبوا إلى إريتريا فقاموا هناك بنشروا الإسلام، ولا يخفى على أحد بأنه في تلك الفترة تحديدا قام بعض من العرب وهم من التابعين لدولة القرامطة متجهين إلى الصومال حيث أسسوا هناك مدينة أخرى عرفت بمدينة مقديشيو، حيث كوَّنوا فيها هناك مجلس عرف بمجلس المدينة، ومن ثم تحولت فيما بعد إلى سلطنة ، فأصبح الإقليم المعروف بشرق أفريقيا هو إقليما يستوطنه مسلمون وكذلك موطنًا للدين الإسلامي وللثقافة الإسلامية.وعندما سقوطت الأندلس بدأت عليها الحملات وتوالت والتي تعرف بالإكتشافات الأوربية للقارة، فقاموا بإحتلال زنجبار، وبذلك وقع العالم الإسلامي تحت مظلة الاحتلال من مختلف دوله الأوربية، حيث بدأ النضال والجهاد والمقاومة الإسلامية من أجل الاستقلال، فبرز محمد بن عبد الله حسن الشهير بالمُلاَّ في بلاد الصومال ، وكان قد تمكن أن يستقلَّ بها مدَّة عشرين عامًا، وكذلك بَرَزَ في مقديشو حزب "رابطة وَحدة الشباب"، أمَّا جيبوتي فهي في تلك الحقبة كانت تعتبر جزءًا من الصومال وقامت فرنسا باحتلتها. اما في إثيوبيا (الحبشة) استمرَّفيها الحكم الإسلامي قرابة أربعمائة سنة، ثم بعد ذلك جعل الاستعمار النفوذ و السلطة في أيد النصارى، حيث كانت الحكومات في تلك الفترة تحرص على إبقاء الطابع المسيحي بقوة للحبشة. وتعتبر إريتريا وبرغم أن الأغلبية العظمى فيها هي المسلِمَة ومع ذلك كانت قد وقعت تحت سيطرة الاحتلال الحبشي،

وقامت مصر بالتراجع حيث إنسحبت من من إريتريا وكان ذلك عائدا إلى وقوعها تحت براثن الاحتلال البريطاني، كما احتلتها إيطاليا، ومن بعد ذلك ضُمَّت إريتريا إلى دولة الحبشة، بعدها بدأت المؤامرات والإضطهادات تشن على المسلمين ، ولا نستغرب أو نتعجب أن انتشرت في تلك الحقبة والآونة من الزمن الهيئات التنصيرية. وبالنسبة لتنزانيا فقد أخذها العُمَانيون، قبل أن يحتلها الألمان ، حيث قام أحد السلاطين العمانيين وتحديدا كان السيد خليفة في عام ١٨٨٨م بتوقيع تنازل للشركة الألمانية عن أمتلاكه للشريط الساحلي، ومن بعد ذلك استقلَّت زنجبار وكانت حينها قد ضُمَّت إلى تنجانيقا؛ لتشكل فيما بعدُ جمهورية مستقلة تعرف بجمهورية تنزانيا عام ١٩٦٤م، وعانى المسلمون من الاضطهاد حتى إن الفتياتِ المسلماتِ أُجبرن على الزواج من النصارى.تشير معظم الكتابات والروايات التاريخية وكذلك الآثرية منها بأن عرب الجنوب الذين عرفوا بركوب البحر قد توغلوا على الساحل الشرقي لأفريقيا وذلك إبان القرن الأول الميلادي، وقد توغل نشاطهم التجاري بشكل أعمق ليمتد حتى القارة الهندية ، حيث أقاموا المدن الزاهرة هناك ، حيث كانت منذ الأزل الموانئ التي كانت تنتشرعلى طول الساحل تعتبر بمثابة محطات ترسو على مرافئها جميع السفن العربية التي تمخر وتجوب عباب المحيط وهي مواصلة طريقها إلى الهند. وتطالعنا الوثائق التاريخية أن حاكم "زنجبار" كان من السلاطين العرب. إن العرب العُمانيين هم أوَّل من اكتشف أفريقيا وجاس خلالها إلى حوض نهر الكونغو، وهم الذين أخبروا عن البحيرات والجبال المعممة رؤوسها بالثلوج على الرغم من مشاق الأسفار، وعلى الرغم من وحشية الأهالي الذين يأكل بعضهم بعضا. وقد توغلوا في الغابات المظلمة وسط الضباع الضارية مخاطرين بأرواحهم وأموالهم. كما ثبت أن الأوروبيين اعتمدوا على عرب شرق أفريقيا في ارتياد مجاهل القارة الأفريقية ومداخلها(١).والعرب كانوا قد قدموا إلى هذه الأقاليم واستوطنوها مع جاليات كبرى و ضخمة من المهاجرين العرب بواسطة ركوبهم البحر، وساعدهم على ذلك كثرة الأنشطة الملاحية الذي كانت أهم الأسباب في إنتشارهم على مد أكثر البلدان والمدن الساحلية التي كانت ولا تزال تقع على ساحل البحر الأحمر و كذلك المحيط الهندي والخليج العربي. ومن الأهمية بمكان أن نعلم بأن اللغة العربية كانت هي اللغة الرسمية والأساسية السائدة في زنجبار في ذلك الوقت وبفضلها انتشرت إلى العديد من الدول الإفريقية

والدول الأخرى المجاورة لها وفي هذا السياق يقول المسعودى أثناء حديثه عن التجارة بأن أصحاب المراكب الذين كانوا يبحرون إلى أفريقيا الشرقية في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي كانوا عربا، ووصلوا حتى ميناء سفاله في موزمبيق الذي كان آنذاك مرفأً لتجارة الذهب القادمة من داخل البلاد . وكانت السلع التي تسعى المراكب لجلبها هي الذهب والعاج والأخشاب والتوابل والعنبر.واستمر الحال هكذا حتى سقوط بغداد في يد الغزاة المنغوليين عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م مما أدى مرة أخرى إلى هجرة كثير من المسلمين إلى بلدان سواحل شرق القارة وقد ربطت دول الخليج العربية آنذاك علاقات تجارية بشرق إفريقيا منذ القدم، ولم تنقطع إلا حين تم إكتشاف النفط. وهذا ما أوضحته لنا الآثار التاريخية المادية هناك إتفاق في جميع الدراسات والأبحاث التي كتبت عن العوامل التي ساعدت العرب وشجعتهم على هجرتهم إلى شرق أفريقيا وقد ربطت تلك الدراسات والأبحاث عبر الصلات التاريخية وكذلك الثقافية ما بين سواحل شرق أفريقيا وكذلك الجزيرة العربية بعامل جغرافي متعلق بالرياح الموسمية الشمالية الشرقية والتي تبدأ تهب نحو زاوية الجنوب الغربي في فترة تمتد ما بين شهر ديسمبر وحتى مارس، والعامل الجغرافي الآخر هو ما يعرف بالرياح الموسمية الجنوبية الغربية والتي تهب متجهة نحو زاوية الشمال الشرقي في الفترة الواقعة ما بين يونيو وحتى أكتوبر. ووما لا يدعو مجالا للشك بأن العرب الذين عايشوا البحر وتربوا بداخله وعرفوا مكنوناته ودرسوا أغواره قد استفادوا إستفادة كبرى من ذلك مثلهم مثل التجار العرب حيث جعلت منهم الظواهر الجغرافية أن يحطوا رحال أرجلهم منذ في هذه المنطقة التي دروسها فأصبحت بالنسبة لهم من الأهمية بمكان أن تكون قيد الدراسة، لأن الذي يفصل بينها وبينهم فقط ما هو سوى بحر. ولم ييأس البحارة العرب من هذه الدراسة وإكتشاف جغرافية المكان الأفريقي لقد استمروا على هذه الطريق وفي هذا الجانب وعلى هذه الناحية من المنوال لأكثر من ألف عام بأكمله ، ربما نعم يقوى بعض الأحيان حضورهم وأحيانا أخرى كان يضعف وقد يعود ذلك حسب تقلب عوامل الزمن. ولا نظن فقط بأن الرياح الموسمية هي المقتصرة وحدها على أن تفتح الطريق السهل الذي يساعد العرب كي يصلوا إلى تلك المنطقة ، بل كان هناك أمرا في غاية الأهمية وهو دراسة العامل الفلكي والمناخي ولولا معرفتهم بذلك لما إستنتجوا أن دورة هذه الرياح كانت بعض الأوقات تجبرهم على أن ينتظروا

ويطول رسوهم بهذه السواحل ربما إمتدت لفترة تتجاوز أكثر من ثلاثة شهور حتى يأذن الله تعالى لهم بإذن من عنده وتغير هذه الرياح و هبوبها إلى جهة أخرى مغايرة .والقارئ الفطن والمتعمق بفوائد السياحة يدرك تماما بأن لهذا الأمر جانب إيجابي لا يخفى على أحد حيث أن هذا الانتظار يترتب عليه إمتزاج وإنصهار كبير أدى إلى حد الإرتباط بالزواج والنسب وقد جاء في كتاب "دليل الرحلة الدائرية" من وصف على لسان مؤلفه حيث تحدث عن حركة مجموعة ترسو هناك من السفن الإغريقية والرومانية والتي تمر بشكل دائم ومستمر على المدن التجارية الهامة في السواحل البحرية لشرق أفريقيا، وكما يبدو أيضا من خلال وصفه في الكتاب يقول مضيفا أنه "كان من المألوف رؤية التجار العرب في مناطق الساحل الشرقي لإفريقيا حتى راباتا "

<u>هجرة المسلمون إلى شرق أفريقيا</u>

من الهجرات العربية التي تم توثيقها وفق الأدلة والقرائن التاريخية هي تلك التي إتضحت لنا من خلال الكشف عن (المخطوطات : وخصوصا مخطوطة كلوا ومخطوطة باتي) والتي بينت الكثير من الأثر الإستيطاني ذات الأشكال الملموسة وذلك خلال القرن السابع الميلادي، حيث نتج عن ذلك بناء مدن ممبسا ومالندي وكلوا وزنجبار حيث تعتبر هذه المدن مدنا ساحلية هامة، ويأتي العمانيون في مقدمة أول وأهم الهجرات في هذا الجانب والذي شكلوا عناصر هامة فيما بعد ، ومن ثم تبعتهم مجموعة أخرى وهي مجموعة الشيرازيين والذين قدموا إلى هناك خلال القرن العاشر الميلادي وتحديدا كما ذكرت المصادر التاريخية قدموا من مدينة شيراز بإيران الحالية حيث قدموا واستقرت سكناهم على جوانب مدن متفرقة وسواحل مختلفة في شرقي افريقيا وبعد ذلك تواترت الهجرات وتوالت على افريقيا سواء كانت تلك الهجرات هجرات من العرب او كانت من غير العرب من ابناء المسلمين، وربما دوافع هذه الهجرات قد تجاوزت

مناحي أخرى غير الهجرات الحدودية المتمثلة في التجارة حيث أصبحت ايضا تلعب بها وتحركها نزاعات المغازلة السياسية في وطنها الأم، حيث من البديهي والطبيعي أن تصبح أهدافها ذات طابع سياسي في بلاد المهجر أيضاً.

ميناء زنجبار عام ١٩٢٠، يوضح جلياً الازدهار الذي وصلت إليه زنجبار في ذلك الوقت

الفصل الثاني :

امتدت السيادة العُمانية في شرق إفريقيا من رأس دلجاو جُنوباً حتى مقديشو شمالاً[١٥]، وأسسوا الحاميات في زنجبار وبيمبا وكِلوة. وبالرغم من الانتصارات التي حققها الإمام سُلطان بن سيف في زنجبار، إلا أن الجلاء البُرتغالي لم يتم إلا في عهد الإمام سيف بن سلطان الذي وضع حجر الأساس لبحرية عُمان الشهيرة التي سيطرت على جميع الساحل الإفريقي الشرقي من ممباسا إلى كِلوه إذ سيطر العُمانيون على ممباسا(١١١٠هـ/١٦٩٨م) وسيطروا على بيمبا وزنجبار وباتي وكِلوة، وكانت موزنبيق هي الوحيدة التي قاومت الأسطول العربي العُماني وبقيت علي أيدي البُرتغاليين إلى القرن العشرين، وقد حاول البُرتغاليون استعادة مراكزهم البحرية الضائعة وقاموا بهُجوم مُوحد على زنجبار ومسقط في آن واحد عام (١١٤٢هـ/١٧٢٩م) ولكنهم أُصيبوا بهزيمة نكراء، وبذلك انهارت آمال البرتغال في استعادة سيادتها على الخليج والمحيط الهندي، وامتد نفوذ عُمان من جنوب الجزيرة العربية وسواحل شرقي إفريقيا في الغرب إلى سواحل وادي السند في الشرق وكانت ممباسا مقر الوُلاة وكان الأئمة اليعاربة في عُمان يُرسلُون ولاتهم إليها وإلى غيرها من بلاد شرق إفريقيا ولما ضعُفت قوة اليعاربة في عُمان عرض الإمام سيف بن سُلطان الثاني على المزاريع ولاية ممباسا على أن يدفعُوا له شيئاً معلوماً كُل سنة وهكذا صار الشيخ المزروعي يحكم ممباسا وزنجبار وملحقاتها سنة ١١٦٣هـ. وفي أثناء ولاية الشيخ محمد بن عُثمان انتقلت الإمامة من اليعاربة إلى الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي فانتهز الوالي المزروعي الفرصة وأراد

أن يستقل بملك ممباسا وملحقاتها وامتنع عن دفع الضريبة المفرُوضة فقام أحمد بن سعيد بمهاجمة المزاريع والقضاء التام عليهم وخضعت ممباسا وملحقاتها وزنجبار وبيمبا للحكم البوسعيدي في عمان.

المبحث الثاني :

العامل البشري والهندسة المعمارية جزء لا يتجزأ من العولمة الثقافية في شرقي أفريقيا .

لا تزال هناك آثار وشواهد دالة على هذه الآثار العمرانية كما هو حال الرسم بالمسجد الموجود ببلدة شوكة في الجزيرة الخضراء، حيث يبدو جليا الرسم الذي هو على شكل خنجر عربي في المحراب القديم لهذا المسجد، ويعود تاريخ هذا المحراب إلى سنة ٨١٢هـ/١٤١٢م(٣).

لقد أوضحت من خلال حديثي عن مدى التأثير الإسلامي شرقي افريقيا والتي توشحت ببناء معماري ذات طابع هندسي فريد ، بدايته شملت الجوامع وكذلك قصور السلاطين ومنازل العامة منهم حتى تلك البيوت العادية. فالأبواب تتميز بأنها ذات ديكورات مزخرفة منقوشة رائعة النحت والصنع ، و كذلك تميزت أثاثها وصناديقها المعدة التي تحفظ فيها النفائس الثمينة حيث كانت بإعتبارها جزء لا يتجزأ من الأسلمة الصحراوية (التحول إلى الإسلام). وتعتبر مدينة (GIDI) "غيدي " من بين المدن التي كانت ضائعة في شرقي أفريقيا ، وهي تعتبر مدينة صحراوية مهجورة غاية في الأبهة والتألق المتميز والفريد في هندستها ذات المعمار الإسلامي. ولا زال الكثير من المؤرخين حتى اليوم في جدال وتسائل حول الأسباب التي جعلت سكانها يرحلون عنها ويهجروها بسرعة رغم إزدهارها بحضارتين رائعتين في معمارهما الهندسي وهي الهندسة المعمارية الأفريقية والهندسة المعمارية الإسلامية والتي أعتبرت هندستها الإسلامية فيما بعد جزء شاهدا على حضارتها لا يتجزأ من العولمة الثقافية.وهنا نعود مرة أخرى إلى الأزياء في شرقي أفريقيا فالكانزو، والذي يعتبر لباسا يلبسه الرجال وهو جلباب ذات لون أبيض للرجال وكذلك بأجزاء مختلفة من خيوط الحرير، حتى يومنا هذا يعتبر شاهد على إندماج الشعوب البشرية

واختلاطها بشرقي أفريقيا فهو لايزال منتشرا على نطاقات ومدن أفريقية واسعة وهي ليست مقتصرة فقط على المسلمين من الأفارقة وإنما حتى شعوب الباغاندا والبانتو التي لم تعرف ولم تدخل في الدين الإسلامي كذلك أيضا ترتديهأيضًا. والواضح من خلال صنع هذا الجلباب قد أدخلت عليه بعض التصاميم ذات تأثير عربي راقي وواسع النطاق في الدول العربية علما بأن صناعته كانت من قبل الشعب السواحلي نفسه متأثرا في صناعته بالطابع والتراث العربي .وقد شمل تأثيرالشعوب العربية في شرق أفريقيا حتى في نطق و استخدام الأبجدية وكان ذلك حتى منتصف العقد الثاني من القرن العشرين كما أن اللغة السواحلية إستمرت تكتب حتى باللغة العربية وكذلك الإملاء فقد تأثر السواحليون بالعرب في اللغات الإفريقية. وبقيت كذلك اللغة السواحلية تكتب بخط عربي لقرون عدة أي حتى قبل أن تنتصر اللغة اللآتينية في عصر الإستعمار الأوربي في القرن العشرين .وهناك أيضا قد تأثر السواحيليون تأثيرا رئيسيا مباشرا بشعب آخر وهو شعب القارة الهندية وكان هذا التأثير اعتبارًا من آسيا ممتدا حتى الساحل الإفريقي الشرقي، فالجميع يعرف ويعلم مدى تأثير المطبخ السواحلي وأنه جاء في أوقات مبكرة جدا حيث تمت فيه إدخال البهارات المتعددة والمتزايدة ، وقد سميت جميعها بأسماء هندية وهي تستخدم في الساحل الشرقي لأفريقيا وفي الدول العربية والخليجية بصفة خاصة وحتى وقتنا الحالي . حيث نجد ونسمع عن بعض الوجبات تحمل طابعا متمثلا من أجزاء الثقافة السواحلية، إمتزجت معها طابع اللغة الهندية في بعض كلماتها مثل . ،« شاباتي » و « بيلاو » و ،« بيرياني »وهناك ايضا تأثير أكثر روعة جاء من خلال الشعوب الآسيوية متأثرة به شرقي أفريقيا وهي في المقطوعات والمعزوفات في الموسيقة السواحلية بأوزارنها المختلفة ، وكان ذلك التأثير كان على ما يبدوا واضحا من خلال أدوات موسيقية كأمثال الطبلة (الطبل الهندي)، والهارمونيكا، والسيتار وهي كما تعرف عند العرب ب(القيثار الهندي).وقد إزداد هذا التأثير في فترة النصف الأول من القرن العشرين حيث تسارعت وتيرة هذا التأثر الهندي من خلال وقع الموسيقا السواحلية الممتزج بالموسيقا العربية،وربما يعود ذلك بسبب سرعة انتشار الموسيقا الهندية وما صاحبها من صناعات في الأفلام الهندية والهوليودية أيضًا. فمعظم الأفلام الهندية لاقت رواجا كبيرا وأصبحت أكثر شعبية في شرقي أفريقيا من من دار السلام إلى دوربان، ومن مقديشو إلى مابوتو، ومن أسمرا وحتى زنجبار وحين توالت

حقبة جديدة من من حقب التاريخ كي تمتد ايضا نحو ما يقارب القرنين من الزمن أي تحديدا عام (١٥٠٠-١٧٠٠) وهذه الحقبة تقع تحت نطاق العامل الجغرافي ايضا . حيث ظهر في الصورة البرتغاليون وذلك كان في مطلع القرن السادس عشر حين كانوا يعتبرون أنفسهم ويعتبرهم البعض بمثابة ملوك البحر، و كانت مطامعهم وأهدافهم ومساعيهم تتجه نحو جزر الهند الشرقية عندما شعروا بأن سواحل شرق إفريقيا هي بمثابة كنز لهم من حيث الناحية الإستراتيجية والموقع التجاري الجذاب الذي يسيل ويتقاطر له اللعاب. والبرتغاليون كما هو معروف بالنسبة لهم لم تكن لتنقصهم في تلك الآونة الجرأة والتكتيك الحربي والخدع العسكرية ، وبسهولة وقعت منطقة شرقي أفريقيا لقمة سائغة بين فم الذئب البرتغالي وسيطروا عليها سيطرة كبرى حتى أتى من هو أكبر منهم عتادا وعدة وقوة سياسية ونفوذا عسكريا حتى إستطاعة إستردادها ، إنهم العمانيون الذين عرف عنهم بأنهم أسياد البحار وكان ذلك في نهاية العقد الثاني من القرن الثامن عشر. ولذلك تعتبر ايضا هذه الحقبة التي إمتدت قوامها فترة من الزمن ، من أهم حقب التاريخ العربي الإسلامي في سواحل شرق إفريقيا كما أثبتته الوثائق والمخطوطات وكتب عنه الباحثون في دراساتهم وابحاثهم ، فالنفوذ العماني بما فيه من قوة سياسية وتجارية وثقافية آنذاك وفي تلك المنطقة ايضا جعلت منهم بدون أي تردد يقومون بنقل عاصمتهم من مسقط إلى زنجبار في عام (١٨٣٢). وهذا هو الذي يعتبر عهدا جديدا من الموروثات الثقافية التي تم تبادلها بين العمانيين وساكني شرق افريقيا وعلى مدى حقب من الزمان لم تنقض في سجلات التاريخ ومخطوطاته إلا وكانت قد لبست شرقي افريقيا لباس المؤثرات العربية وتغلغلت في جميع نواحي الحياة والتي منها : الثقافة، والتقاليد ، والعادات ، واللغة، ، وكذلك المأكل وايضا الملبس. ويقرر الدكتور إبراهيم الصغيرون أنه «من الحقائق التاريخية المهمة والجديرة بالتسجيل أن انتشار اللغة السواحلية وتوغلها في أواسط أفريقيا قد ارتبط بمرحلة النفوذ العُماني في شرق أفريقيا وبخاصة في عهد السيد سعيد بن سلطان الذي أرسى قواعد الدولة البوسعيدية"١" إبراهيم الصغيرون، الإسهام العُماني، ص ١٩٧

العوامل المؤثرة في التواجد العماني في شرقي أفريقيا إرتبط بعدة عوامل هامة

اولا : موقع عمان الجغرافي والإستراتيجي الهام والذي صاحبه من أهمية في

- **الدور الكبير والعريق لعمان الذي لعبته في الملاحة البحرية.**
- **الحركة النشطة والمستمرة للرياح الموسمية والتي تهب على منطقة الخليج. العربي**

ثانيا : العوامل البشرية المؤثرة في التواجد العماني في شرقي أفريقيا

- **الموقع الجغرافي لعمان،فعامل الجوار الجغرافي الذي يربط بين عمان وشرقي افريقيا دفع بالعمانيين بأن تكون وجهتهم البحرية ونشاطهم التجاري اليها وبأن يحملوا معهم ما يمكن نقله ومايتوفر بها من السلع الثمينة وكذلك المرغوبة الى عمان حتى يتم إعادة تشكيلها وتدويرها ومن ثم تصديرها الى اسواق العالم.**

ثالثا : التجارة

- **إن الدور الذي لعبته عمان العريقة على مدى الزمان في جانب الملاحة البحرية، جعل ارتباط العمانيين بالبحر كبيرا وجعلهم كذلك يكتسبون خبرة بحرية عالية تؤهلهم بأن يقوموا بجولاتهم البحرية وكذلك القيام بنقل تجارتهم عبر المحيط الهندي ما بين عمان وشرقي أفريقيا.**

المبحث الثالث

الفصل الأول :

الجانب الثقافي والعمراني الذي أسهمه وجود العمانيين في الساحل الأفريقي:

إن النهضة العلمية والفكرية التي عملت على إحداثها هجرة العرب من العُمانيين إلى الساحل الأفريقي بلى شك قد أثرت تأثيرا كبيرا على جانب مهم من الجوانب الثقافية الأفريقية السائدة

في تلك الأقليم ، فأمتزجت واصطبغت بصبغة الطابع الذي جاء مع القادمين إلى هناك ، فأصبح ذلك الأثر واضحاو ملموسا على الكثير من العادات والقيم المتوارثة و فنون العمران بها وكذلك الملبس والمأكل وحتى الأعراس.مما جعل ذلك يزداد بوضوح تام في الانصهار بينهم وكذلك الاندماج ، سواء كان ذلك بالتزاوج والإنصهار أو الإختلاط بحكم علاقات الجوار، مما أوجد نمطية متآلفة في جانبي العيش وكذلك الموروثات التي شكلتها التقاليد العربية والإسلامية .إن ذلك الزائر الذي يقوم بزيارة إلى مدن الساحل الأفريقي منذ أول وهله يلاحظ ويتبادر له ذلك التجانس والتشابه في الكثير من الأزياء التقليدية و ذات الجذور العربية والإسلامية الضاربة عمقها في التاريخ الأفريقي والعماني بادئ ذي بدء من مقديشو منتهيا بجزر القمر، وحتى بعدما غير الاستعمار الأوروبي طريقه ومجراه بقي ذلك ملاحظا كما هو لم يتغير هذا الملمح ووهو مستمرا حتى أجيال قادمة في المناسبات واللقاءات ذات الطابع الإسلامي ومن أمثلة ذلك انه في يوم الجمعة من أيام الأسبوع نجد الجميع يؤدون صلاتهم وقد ظهرت على هيئاتهم وأجسامهم تلك الأثواب العربية التي تحاكي زمنا عريقا من عصر الحضارة يستخدم فيه الثوب العربي على ارض عُمان، والأجمل من ذلك تلك القبعة التي توضع على الرأس والتي تعرف بالكمة ، بل وإنه في ايام عقد القران أي (الملكة) والزفاف لا نستغرب حين نشاهد العريس متقلدا الخنجر العماني ممسكا بيده سيفا، ثم تمصربالعمامة أو كما هو معروف بالمصر العماني زين به رأسه أما بالنسبة للأنثى فهي كذلك نهجها أيضا فزي المرأة الأفريقية قد إكتسب نفس طابع الزي التي ترتديه المرأة العربية، وهذا هو كتاب جهينة الأخبار يصف لنا وصفا تاريخيا جميلا حيث يقول : صاحب كتاب «جهينة الأخبار» عن زي المرأة قائلا: «وأما لباس المرأة في ذلك الزمن، فخمارٌ على رأسها، وقميصٌ وسراويل، وشيلةٌ تعمُّ سائرَ جسدها، وجواربٌ وحُقٌّ»(٢)وهذا الحديث كان في زمن السلطنة العُمانية أي في تلك الفترة التي كانت قبل السيطرة الاستعمارية وحتى قبل دخول وغزو العادات الغريبة التي أتى بها الإستعمار الغربي والتي جلبها الأوروبيون. إن هذا التأثير إمتد حتى من خلال العادات والأعراف وكذلك التقاليد المتعارف عليها مثل إستقبال الضيوف والترحيب بهم وكذلك إلى القيام بواجبات الضيافة الأخرى. ولم ينتج ذلك من فراغ وإنما من خلال التعايش والاندماج الذي حدث ما بين العرب الوافدين وكذلك ايضا السكان المحليين.أما العمارة الإسلامية

فتجدها ماثلة واضحة للعيان تشاهدها في معظم المدن الساحلية الأفريقية وخصوصا في نمطية بناء المساجد والبيوت القديمة والحصون وكذلك القلاع حيث هي تعطيك منذ اول وهلة إنطباعا عن هويتها العربية. إن العُمانيين الداخلين إلى لبلاد الأفريقية وإن كان منهم الذي تدفعه روح المغامرة للكسب والغنى، إلا أن انتماءهم العقدي لدينهم الإسلامي هو الذي تحكم في حركتهم وتجولاتهم، وندلل على ذلك بالقصة التي يوردها الكاتب جراي عن الشيخ أحمد بن إبراهيم العامري التاجر العُماني الذي وصل من زنجبار إلى بلاط الملك (سنا) بمملكة يوغندا عام ١٢٦٠هـ/١٨٤٣م، حيث أبدى هذا الشيخ شجاعة فائقة في بلاط الملك كانت سببا في إسلام أهل يوغندا(٥).

وهناك أمثلة وشواهد عديدة فعلى سبيل المثال لا الحصر :

لا تزال هناك البعض من الاثار والشواهد التاريخية الدالة على مثل هذه الآثار المعمارية فحين تذهب إلى مسجد ما تلاحظ هناك حال الرسم بالمسجد الذي يقع ببلدة شوكة في الجزيرة الخضراء، حيث أن هذا الرسم يبدوا منقوشا وواضحا بالرسم والذي هو على شكل خنجرمن الطرازالعربي قد اتقن في المحراب القديم لهذا المسجد، وتاريخ هذا المحراب إلى سنة ٨١٢هـ/١٤١٢م(٤٩)كما أن من بين المساجد القديمة التي تم العثورعليها في مدينة مقديشو مسجد نقشت عليه كتابة كانت قد بينت كذلك تاريخ تأسيسه وهو عام ٦٣٧هـ في إحدى عصور السلطنة الحارثية، أي حتى قبل مرور ابن بطوطة بها بنحوعدة سنوات من

ذلك الزمان. وبإلقاء نظرة على نمطية وطريقة أساس بناء بعض مثل هذه المساجد القديمة خصوصا في الساحل الأفريقي نستطيع أن نميز ونلحظ حتى مدى التشابه بين أسلوب وطريقة عمرانها والآلية التي صممت بها مقارنة بتلك التي هي موجودة في عدد كبير من البلدان العُمانية، أحد السياح يذكر من خلال زيارته بأنه قام بزيارة بلدة كجمبوني في ناحية من ناواحي مدينة دار السلام والتي هي عاصمة تنزانيا حيث يوجد بها ايضا بناء لمسجد قديم، وقد لاحظ السائح بأن المحراب الذي يوجد بهذا المسجد الذي تم بناؤه حتى قبل أربعة مائة عام مشابه ومماثل في بنيانه بتلك المحاريب التي بنيت المبنية في المساجد القديمة من عُمان حيث يكون

من المعروف في المحراب أنه بدون تجويف وإن هناك شواهد مختلفة من القبور القائمة وكذلك المحاذية لتلك قد اتخذت طابعا وشكلا يماثل عددا من شواهد القبور القديمة في عُمان، هذه الآثار كلها تصور لنا هذا التأثير الثقافي الذي ظلت دوارسه وآثاره شاهدة على سنين من التعايش والاندماج الثقافي والعمراني . وكما هو معلوم قديما قدم التاريخ بأن شرق افريقيا هو جزء من شبه الجزيرة العربية وخصوصا تلك التي تعرف بجزيرة زنجبار حيث كانت لا تتجزء هذه الجزيرة عن شبه الجزيرة العربية ولكل منها رقعتة الجغرافية والتي تعتبر بمثابة رقعة واحدة حتى حدثت ظاهرة إنفلاق قشرة الأرض تلك الظاهرة التي تسمى بالحركة الجيولوجية للأرض، في تلك الفترة تحديدا حدث الإنفصال ما بين القارة الأفريقي و المنطقة العربية ، حيث كان البحر الأحمر هو الخط الفاصل والممر المائي بين تلك المنطقتين، وليس أصدق دليلا على هذا الكلام سوى ذلك الشبه الكبير بين شعوبها سواء كان في الثقافة والعرق والعادات والتقاليد واللغة لدى البعض ايضا وقد تحدث مؤلف كتاب دليل الملاحة في البحر الإرتري حيث يقول " إن منطقة شرق إفريقيا خاضعة بصورة غير مباشرة للدولة العربية ذات النفوذ القوي يديرها أمير معافر من اليمن ويقيم

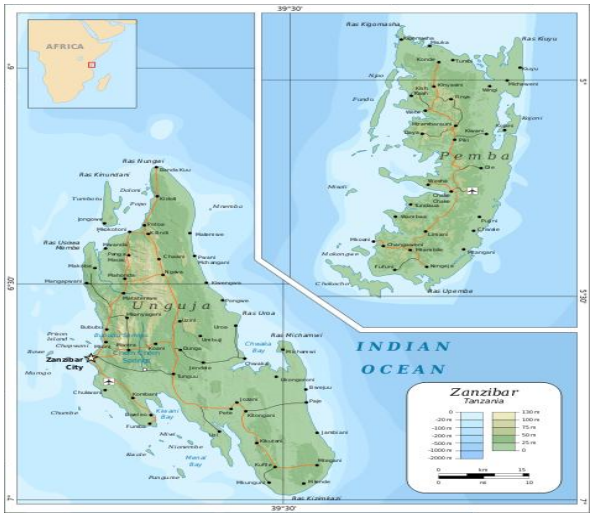

بها تجار مهاجرون من جنوب الجزيرة العربية)

خريطة زنجبار: تُشير الخريطة الجزيرتين الكبيرتين اللتين تتكون منهما زنجبار أُنغوجا وبيمبا، وهناك عدد من الجزر الأخرى كما أشرنا إليه.

المبحث الرابع :

إنصهار العمانيين السكاني في زنجبار:

إن جزيرة زنجبار تقطنها مجموعة من السكان وهؤلاء السكان يتكونون من جنسيات وأعراق مختلفة وسلالات متنوعة قدمت إليها فأختلطوا مع بعضهم مؤثرا ومتأثرا كل منهم في الآخر فشكلوا عوامل بشرية طبيعية بسبب ما أنتجته الهجرة وما أفرزه الإنصهار بالتزواج هناك فمن الطبيعي أن يختلط السكان الأصليين مع المهاجرين العرب وكذلك الشيرازيين ، وتعود بدايات التواصل العربي الإسلامي خلال القرن الأول الهجري و نهاية القرن السابع الميلادي وكان ذلك في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان ، ، بعد ذلك توالت الهجرات فأتت الهجرة الثانية خلال القرن العاشر الميلادي في عهد (السلطان الحسن الشيرازي) والذين ينسب إلى أبنائه تأسيس عددا لا باس به من المدن والمماليك هناك ، ثم تتابعت الهجرات العربية إلى هناك وكان لهذه الهجرات بصمات مميزة أثرت بوضوح من خلال الحياة السياسية والاجتماعية هناك كهجرة النباهنة التي حدثت خلال القرن الثالث عشر ميلادي حيث تعتبر أسرة النباهنة أسرة حاكمة ، إن أسرة النباهنة وجدت تأييدا كبيرا من المجموعات المهاجرة التي كانت قبلهم على مد جزر الساحل الشرقي الإفريقي ، حيث حصل النباهنة على الحك هناك وحازوا على ثقة السكان والمهاجرين ، وقد إستمر حكمهم هناك منذ القرن الثالث عشر الميلادي وحتى الثامن عشر الميلادي ، ولا يزال تأثير حكم النباهنة باقي حتى الآن في شرق إفريقيا ثم أتت بعد ذلك هجرات يمنية من الحضرميين إلى هناك ، وتحديدا كان ذلك في القرن العاشر الميلادي ، الموافق القرن الرابع الهجري.وكان المغيري حسبما قرأت في كتاب جهينة الأخبار: أنهم كانوا دعامة أساسية ويعتبروا من دعائم العمود الفقري لدى الدولة البوسعيدية أيام السلطان سعيد بن سلطان ، حيث رشحهم السلطان سعيد في تولي القضاء ، وكذلك منحهم الثقة في إدارة الجمارك، وأدمجهم مع الجندية ، وتعرف هذه العائلة بالنشاط والحركة التجارية فكانوا متفوقين تجاريا وبعد الإستعمار البرتغالي تقاطرت الحركة من عمان ، حيث تأسست هناك دولة ذات أبعاد حضارية ولها نفوذ قوي في شرقي أفريقيا وكانت مزدهرة إزدهارا كبيرا بلغت أوج الأمبراطوريات العظمى حيث بعد ذلك إلتحمت وادمجت مع دول عمان الإسلامية حتى أصبحت هي العاصمة لأسرة الدولة البوسعيدية في سلطنة عمان في عهد الأمام (سعيد بن سلطان) ولم تنفصل إلا بعد أن حدث الخلاف ودب النزاع بين بين أبناء السلطان لتصبح دولة مستقلة عن عمان ، وثم خلاف كبير بين اليمانين

والعمانيين في أيهم أسبق إلى شرق إفريقيا ، يشير الشيخ الجنيد إمام الجالية اليمانية وعالمها الجليل من خلال مذكراته التي تحت عنوان (الإسلام واليمانيون الحضارمة بشرق إفريقيا) إلى أن هجرة العرب اليمنيين كانت قبل هجرة العرب العمانيين(١٦) ثم أعقب هذه الهجرات العربية الهجرات الهندية التي كان لها أثر. وإن كان قليلا في التركيبة السكانية في زنجبار. وأقول (الأثر الضعيف) ذلك لأن الجالية الهندية جالية منغلقة على نفسها لا تتزاوج مع السكان(١٧) الأصليين ، وعليه فإن الدراسات الحديثة تشير إلى أن سكان الجزيرة الأصليين هم التمباتيون – والبمباويون– وقبيلة الأوخاديموا وتجمع روايتي الكولونال (colonel regdi) ومحمود حويري على أن التركيبة السكانية في الزنجبار بدأت بمجموعة من الشيرازيين وبعض الشيعة الذين جاؤا إليها من الإحساء ثم الزنوج والعرب العمانيين واليمنيين (١٨) ومن يرى سكان زنجبار اليوم ليجزم بالامتزاج العرقي بين العنصر الزنجي والعنصر العربي.فملامح الوجوه ولون البشرة هي ذاتها الموجودة في المناطق الجنوبية من اليمن وبعض الدول في الخليج العربي.

القصور والدور والمنازل والطرق والآثار

لقد كان الفضل لإزدهار زنجبار يعود لإلى العمانيون فيها وتحديدا في حكم الإمبراطورية العمانية للسيد سعيد ن سلطان فقد ازدهرت زنجبار منذ ذلك على نطاق واسع ، فشقت الطرق وقام العمانيون بتمهيدها ، كما بنيت فيها القصور أُقيمت وبنيت بها المنازل وكذلك الدور الدور والمساجد، وخلال تلك الحقبة أصبحت زنجبار أهم نقطة التقاء قادة الساحل الشرقي والإفريقي من الأشراف والعمانيين، وأصبح الكل يقصد تلك المملكة ويذهب إليها حيث أصبحت عاصمة خاصةللسلطان وجوهرة نادرة تسمى لؤلؤة الممالك، حيث تقلصت بجانبها المدن الأخرى التي تزدهر وتضاءلت مثل ماليندي وممباسا وكذلك كلوه.

بيت الساحل

بيت الساحل يعتبر قصرا للسيد سعيد بن سلطان والد السيدة سالمة بنت سعيد بن سلطان التي إشتهرت بالجمال والذكاء والعلم حيث قامت تلك الأميرة العربية بوصف ذلك القصر وصفا بارعا في كتابها الذي قامت بكتابته المعروف بعنوان " مذكرات أميرة عربية" حيث كان بيت الساحل مقارنة ببيت المتوني أصغر بكثير نظرا لمساحته وإتساعه ، وكان موقع هذا القصر على البحر مباشرة ، والساكنبهذا القصر حسب هندسته المعمارية الجميلة يشعر فيه بالراحة والهدوء وإنشراح الخاطر. حيث كانت غرف هذا الدار تطل جميعها على منظر خلاب وساحر من البحر بما فيه زاوية السفن ، وتواصل السيدة سالمة بنت سعيد بن سلطان في كتابها مذكرات أميرة عربية حيث تقول : أن

هذا القصر هو بمثابة صورة انطبعت إنطباعا عميقا في روحها. وفي الطابق العلوي حيث تنفتح به جميع الأبواب والتي توجد بداخلها غرف السكن في الطابق العلوي، وهذه الغرف تطل على قاعة طويلة وعريضة حيث تقول السيدة سالمة بأنها لم ترى شيئا فريدا وأنيقا مثلها من قصور العالم ثانية أبدا. إن اسقف الأقصر كما جاء في مذكرات أميرة عربية كانت تحمل أسقفها على أعمدة تصل إلى الأرض، وبعد ذلك يمر من خلالها حاجز صفت على مد طويل كراسي كثيرة، ناهيك عن تلك المصابيح الملونة الكثيرة والتي كانت متدلية من علو السقف حيث كانت أنوارها تشع في أرجاء المكان وتمنح المكان ضوءا

وجاذبية سحرية خافتة عند قدوم المساء و حلول الظلام. وحين ينظر المرء من فوق الحاجز فإنه تبتهج روحه إلى ذلك الفناء والمليء بالحياة وكثرة الضوضاء، الذي رآه وشاهده لن يستطيع أو يتمكن أن يرى مثله ثانية بسهولة مرة أخرى أما غرف السكن في الطابق الأعلى والفناءفإنهما يصل بينهما سلمان كبيران وهذه السلالم من دخل القصر يعلم بأنها مكشوفة تماما، حيث أن الحركة عليها تعتبر مستمرة من حيث الصعود والهبوط ليلا ونهارا دون اي انقطاع، ومن شدة الإزدحام في نهايتها كثيرا ما يضطر المرء للمكوث والوقوف والانتظار دقائق طوال قبل أن يتمكن من متابعة إلى السلم. أما الأسوار فقد بنيت بناء بحيث تصبح طويلة حيث يتراوح سمكها تقريبا حوالي مترين وذلك لحماية البيت من أمواج البحر بحكم موقعه منه ، وكان الرمان ينمو خلفه حيث أصبح كبيرا جدا. وفي فترة هدوء البحر وحدوث الجزر توجد خيول من أفضل أنواع الخيول ربطت أمام السور بحبال طويلة حتى تتمكن هذه الخيول من التقلب على رمال البحر . وحسبما تصف السيدة سالمة بنت سعيد بن سلطان فإن السيد سعيد كان يحب خيوله العربية الأصيلة حبا شديدا حيث كان يأتي بها من عمان، حيث كان لا يتردد ابدا عن رؤيتها ويكاد يكون ذلك بشكل يومي، لدرجة أنه والمر ليس بمبالغ فيه إذا مرض أحدهذه الخيول قام السيد سعيد بن سلطان من فوره ومن تلقاء نفسه برعايتها في الحظيرة. وكان هذا البيت بالكثير من السكان. حتى اصبح في نهاية المر يشكل زحمة كبرى لا تطاق ، ولذلك خطرت ببال السيد سعيد فكرة جميلة وهو أن أن يقيم في الشرفة الكبيرة عدد من الحجرات الخشبية لتكون بمثابة غرف إضافية للسكن. وفي نهاية الأمر قام ببناء بيتا ثالثا ايضا وقد سماه ببيت الرأس. حيث أن هذا البيت قد أقيم مسافة تبعد بضعة كيلومترات إلى شمال بيت المتوني وكان مطلا على البحر أيضا حيث بناه السيد سعيد بن سلطان بهدف أن يكون مقرا و مسكنا للجيل الجديد من بيت الساحل. حيث كانت السيدة خولة وهي أحد بنات السيد سعيد بن سلطان والتي كانت تتمتع بحب ابيها وتقديره هي التي تقوم برعاية

ومسوؤلية إدارة هذا البيت نظرا لتميزها وتفوقها الإداري ، ومن اجل ذلك ترك لها السيد سعيد الأمور الإدارية بتنظم بيت الساحل وهذه المهمة ليست بتلك المهمة السهلة حيث تعتبر من المهمات العسيرة لا تستطيع أن تقوم بها أو تنهض بها إلاَّ من كانت عزم وهمة ، حيث كانت السيدة خولة تقوم بمساعدة والدتها(نجم الصباح) في إدارة شوؤن هذا البيت ومسئوليته ، ثم قامت هي بعد ذلك بنفسها للقيام هذه الوظيفة

<u>قصر المتوني</u>

إن هذا القصر يعتبر من اشهر القصور وأكبرها جمالا وجاذبية ، بناه السيد سعيد بن سلطان رحمه الله ايضا بالقرب من شاطئ البحر و قد قام بتسميته قصر " المتوني" يعتبر هذا الإسم قد إشتق مأخوذ من نهر المتوني، وهو نهر صغير في زنجبار ينبع من مكان غير بعيد عن القصر الذي تم بناءه ثم بعد ذلك يجري نحوه مخترقا بساتينه بمنظر رائع ثم بعد ذلك ما يلبث هذا النهر ان يتفرع داخل القصر الى جداول صغيرة مناسبة ذات صفاء رائع مرورا بجميع الاتجاهات، حيث بعد ذلك تنتهي مياهه الى المحيط، وقد ذكرت كتب التاريخ كثيرا عن هذا القصر حيث انه يعد من التحف المعمارية النادرة الوجود في زنجبار وذلك من من حيت تصميمه

الهندسي الرائع...وهاهي تظهر الأميرة العربية سالمة بنت سعيدما كان عليه القصر من روعة التصمم في كتابها(مذكرات أميرة عربية)يقع بيت المتوني على البحر، ويبعد حوالي ثمانية كيلومترات عن مدينة زنجبار، في محيط جميل للغاية، مختفيا تماما في بستان أشجار جوز هند هائلة، وأشجار مانجو ونباتات استوائية عملاقة أخرى.بيت المتوني« اسمه من نهر المتوني الصغير الذي يبعد بضع ساعات قادما من الداخل، متشعبا إلى عدد كبير من الامتدادات التي تشبه الأحواض، يخترق القصر بأكمله، ويصب خلف أسواره مباشرة في ذراع البحر الرائع الذي ينشط فيه المرور ويفصل الجزيرة عن القارة الأفريقية. تمتد ساحة واسعة واحدة بين البنايات الكثيرة التي يتكون منها »بيت المتوني«. نتيجة لاختلاف أنواع هذه البنايات التي أقيمت تدريجيا حسب الحاجة، حيث يمكن للمرء أن يقول عن الكل بممراته ودهاليزه التي لا تحصى والتي يتيه فيها من لا يعرفها إنه أقرب إلى القبح منه إلى الجمال. لا تعد أيضا غرف قصرنا. لقد غاب عن ذاكرتي تقسيم الغرف، وعلى العكس لاما زلت أتذكر بدقة تماما الحمامات الكثيرة في بيت المتوني. كانت دزينة من الغرف تقوم في صف في الطرف الأقصى من الفناء، حتى أن المرء ما كان يستطيع الوصول إلى هذا المكان المنعش المحبوب في الأيام المطيرة إلا وهو يحمل مظلة. وكان

يقوم في الطرف الآخر في معزل عن غيره ما يسمى بالحمام ؛الفارسي«، وهو في الحقيقة حمام بخار تركي، فريد في طراز بنائه الفني في زنجبار. كان كل حمام يتكون من غرفتين يقرب طول كل منها من أربعة أمتار وعرضها ثلاثة أمتار. وكان عمق الماء فيها يصل إلى صدر الشخص الراشد. كان جميع سكان البيت يحبون هذه الحمامات المريحة، حيث يمضي أغلبهم عدة ساعات من اليوم هنا، يصلون، ينامون، يعملون، يقرأون وحتى يأكلوا ويشربوا. لا تتوقف الحركة هنا من الرابعة صباحا وحتى منتصف الليل. فقد كان المرء يرى أشخاصا داخلين أو خارجين نهارا وليلا. ما أن يعبر المرء بابا واحدا من هذه الحمامات التي بنيت بطريقة واحدة داخلا، حتى يرى دكتين للاستراحة إلى اليمين واليسار، مفروشتين بحصر فاخرة ملونة، يصلي المرء فوقها أو يستريح. تخلو هذه الغرف من السجاد وكل ما يعتبر بذخا. يحتاج كل مسلم للصلاة ثوبا نظيفا نظافة تامة، لا ينبغي استعماله إلا لهذا الغرض، ويكون أبيض اللون إذا أمكن. الأكثر ورعا وحدهم بالطبع يتبعون فرض الدين غير المريح هذا بدقة كبيرة. تفصل حجرات الاستراحة هذه عن أحواض الماء التي توجد تحت سماء مفتوحة، ممرات ذات أعمدة. ثم يقود جسران حجريان مقوسان بدرجات، صاعدين من الأحواض صعودا هينا إلى غرف أخرى منفصلة تماما. لكل حمام رواده الخاصون، وويل لمن لا يلتزم بدقة بهذا التمييز. لقد سادت في بيت المتوني روح طبقية كبيرة لدرجة أنها روعيت من قبل الأعلى والأدنى بكل رسمية بنفس المقدار. تزدهر أشجار برتقال بحجم أشجار الكرز الكبيرة في صفوف كثيفة على طول واجهة بيوت الإستحمام. ولطالما وجدنا فيها كأطفال صغار ملجأ وحمايةمن معلمتنا الصارمة صرامة مخيفة. كان الناس والحيوانات يتواجدون معا بصورة مريحة تماما في الفناء العظيم بأكمله، دون أن يسبب بعضهم للآخر أي مضايقة، كانت ثمة طواويس وغزلان، دجاج ماء وغرانيق وأوز، وبط ونعام تتجول بحرية، يحيطها الصغار والكبار بالعناية ويطعمونها. وكان يسعدنا نحن الصغار على الدوام أن نجمع البيض الكثير الموضوع هنا وهناك،خاصة بيض النعام الكبير ونحمله إلى كبير الطهاة،الذي اعتاد أن يكافئ جهدنا بمختلف أنواع الحلوى. كنا نتلقى نحن الأطفال من سن الخامسة في هذه الساحة دروسا في ركوب الخيل لدى الغلمان مرتين في اليوم، في الصباح الباكر وفي المساء، بينما كان سكان حديقة حيواناتنا الصغيرة يتابعون حياتهم دون كلفة. حالما نكون قد نلنا ما يكفي من التدريب في هذا الفن يحصل كل منا على دابة خاصة به من أبينا، كان يسمح للصبيان أن يختاروا بأنفسهم حصانا من الحظيرة، بينما كنا نحصل نحن الفتيات على حمير مسقطية كبيرة ناصعة البياض، أغلى ثمنا في الغالب من الخيول العادية. وكانت هذه الحيوانات الجميلة طبعا مزودة بكامل عدتها. ومن

خصائص بيت المتوني، إذ تبدو درجاتها وكأنها قد بنيت من أجل العملاق غولياث. كان معظمها يصعد بصورة عمودية دون توقف أو انعطاف أو فسحات استراحة، حتى أن المرء ما كان يستطيع أن يرتقيها إلا بأن يسحب نفسه على السياج البدائي صاعدا. وكانت حركة الهبوط على هذه الدرجات دائبة مما يوجب إصلاح سياجها على الدوام.إن السائح أو الزائر الذي يتجول في الساحل الأفريقي وخصوصا في زنجبار تتضح له معالمها ومناظرها المرتبطة بطبيعتها الخلابة والتي تزينها أربعة ملايين شجرة من أشجارالقرنفل . إن هذه المدينة تمتد في أراضيها طرقا واسعة وشاسعة مبنية بـ (الآجر) و (القار) حيث يرى الزائر بعينيه في جميع شوارعها و أريافها وكأنه يطوف ويتنزه بداخل جنة وارفة الظلال مكسوة بالخضرة وبداخل هذه الجنة مختلف البساتين الجميلة المنظر حيث تتدفق من خلالهاالمياه العذبة منهمرة في جميع أرجائه . ومن خلال حكم العمانيون لجزيرة زنجبار تعتبر أرض مسلمة حيث دام هذا الحكم ما يقرب ألف عام . ومن مكونات هذه البلدة جزيرتين كبيرتين يعتبرن من أجمل الجزر في شرق أفريقيا هما : زنجبار وبمبا . هذا بالإضافة إلى سبع وعشرين جزيرة من الجزر الصغرى التي تتوزع حول بمبا . حيث أن زنجبار وهي العاصمة لهذه الدولة وقد سميت نظرا لطبيعتها الخلابة ببستان أفريقيا الشرقية ويبلغ طولها ٨٥كلم ، وعرضها حوالي ٤٠ كلم . ومن مميزات جزيرة زنجبار بأن ارضها حجرية فهي تعتبرصالحة لزراعة الأرز والطلح والمهوغو والجزر ، ويبلغ أشجار القرنفل بها حوالي مليون شجرة قرنفل ، ويمر قاطعا إياها متخللا نهر كبير يسمى مويرا ، وهو أكبر أنهارها . حيث يعتمد أهل هذه الجزيرة على الماء من عين نضاجة تفور في شمال المدينة ، أما بالنسبة للجزيرة الثانية وهي جزيرة بمبا ، والمسماة ب (الجزيرة الخضراء) ويبلغ طولها قرابة ٧٨كلم وعرضها ٢٣ كلم أرضها هي واحة خصبة جدا حيث تشتهر ايضا بزراعة القرنفل والنارجيل . وتعتبر هذه الجزيرة من أكثر الجزر أمطارا من زنجبار وألين هواء . وتعتبر ايضا شجرة القرنفل في غاية الجودة وفيها ما يقرب حوالي ثلاثة ملايين شجرة قرنفل . إن الإسلام قد وصل الاسلام إلى جزيرة زنجبار عن طريق العرب المهاجرين وكذلك الشيرازية إلى شرق أفريقية وكان ذلك في نهاية القرن الأول الهجري ومن خلال هذه الحقائق التاريخية وعلى ضوء هذه الحقائق استطاع المؤرخون في كتابة التاريخ أن يحددوا ويتوصلوا إلى أن العمانييون تواجدوا في شرق أفريقيا في أواخر القرن الأول الهجري وأن هذا التواجد كان مرتكزا على حقائق ووجود آخر سابقا إلى هذه البلاد إذ إنه ما لا يقبله العقل أن يكون سلاطين عمان سليمان وسعيد أبناء عبد الجلندي هو أن يتخذا القرار من ذات نفسيهما أو من احد مقربيهم من الأقارب وذلك ليفرا بنفسيهما وأهلهما وبمن تبعهما إلى

أرض وبلاد كانت تعتبر فارغة من وجهة نظر البعض من الوجود العماني فيتخذوها مسكنا لهم ويأمنون فيها على حياتهم وعلى دينهم . لقد أحدث ولوج العُمانيين للساحل الأفريقي نهضة علمية وثقافية واسعة المجال كما أن اهتمام السلاطين العُمانيين بنشر العلم، وتشجيع العلماء زاد في هذا الجانب حيث رسخ جذور اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وطبع اللغة المحلية (السواحلية) بطابع العربية تحدثا وكتابة.ولعل من أبرز ما يجدر ذكره في هذا الجانب، إنشاء المطبعة السلطانية التي دفعت إلى قيام الصحافة العُمانية إبان حكم السيد برغش بن سعيد بن سلطان خلال الفترة من (١٢٨٧ـ١٣٠٦هـ) (١٨٧٠ـ ١٨٨٨م). ويذكر الشيخ سعيد المغيري صاحب كتاب «جهينة الأخبار» أن السيد برغش أنشأ مطبعة لطبع الكتب الدينية والأدبية قد طبعت عددا من كتب الفقه الإباضي كقاموس الشريعة، وهميان الزاد، ومختصر البسيوي(٤).

الخاتمة :

أن بعض كتاب التاريخ قد أكدوا بأن هذه المنطقة للعرب العمانيين فيها مراكز في القارة الأفريقية وكانت ايضا لهم أعماق جذورها ضاربة بحيث أصبحت بعد ذلك لهم قوات وسلطات متواصلة من بر الصومال وحتى مدغشقر أي منذ ما يقارب النصف الأول للقرن الأول الميلادي ، وليس بخافي على أحد بأن الرحالة إبن بطوطة وهو مغاربي الجنسية كان قد زار الساحل الأفريقي حيث وصف بدقة متناهية الآثار القديمة الموجودة في سواحل افريقيا الشرقية من حيث القصور والقبور والمساجد وقد ذكر المؤرخ الأمير شكيب أرسلان في كتابة الذي يحمل عنوان (حاضر العالم الاسلامي) إن العرب العمانيين في تلك الفترة من الحقبة الزمنية قد تملكوا الجزر والسواحل في شرق أفريقيا وجاء بعد ذلك البرتغاليون فانتزعوها من أيديهم في عام ١٥٠٣م حيث بعد ذلك قد استردها سلطان بن سيف الذي طرد البرتغاليين من ممباسة وكلوة ، وبمبا ،

وأرسى أول قوة عمانية ضاربة جذورها في العمق حيث كانت مستقرة في أفريقية الشرقية . أما ممباسة فقد كانت تعتبر مقر الولاة حيث كان الأئمة اليعاربة في عمان يوكلون مهام لولاتهم إليهما وإلى غيرها أيضا من بلاد شرق أفريقية وبعد ذلك حين ضعفت قوة اليعاربة في عمان قام الإمام سيف بن سلطان الثاني بعرض ولاية ممباسا على المزاريع مقابل شرط هو أن يدفعوا له شيئا معلوما كل عام .

المراجع

- جيان (ربان سفينة): وثائق تاريخية وجغرافية وتجارية عن إفريقيا الشرقية، كتبه عام ١٨٦٥م، نقله إلى العربية ملخصا يوسف كمال، القاهرة، ط، ١٣٤٥هـ/١٩٦٢م.
- أبو مسلم الرواحي حسَّان عُمان، سلطنة عُمان، ١٩٩٦م.
- عبدالرحمن أحمد عثمان (٢٠٠١): المؤثرات الإسلامية والعربية على الثقافة السواحلية، الخرطوم، دار جامعة إفريقيا للطباعة النشر
- سالم بن أحمد الطيواني: زنجبار منذ دخول الإسلام حتى قيام اليعاربة، مخطوط بمكتبة معهد العلوم الشرعية، سلطنة عُمان، ٢٠٠٠م.
- رجب محمد عبد الحليم: العُمانيون والملاحة والتجارة ونشر الإسلام، مكتبة العلوم، سلطنة عُمان، ١٩٢٩م.
- إبراهيم الزين الصغيرون: الإسهام العُماني في المجالات الثقافية والفكرية والكشف عن مجاهل القارة الإفريقية في العهد البوسعيدي، المنتدى الأدبي، حصاد ندوة ١٩٩١ . ١٩٩٢م، وزارة التراث القومي، سلطنة عُمان،١٩٩٣.

- وندل فيليبس، تأريخ عمان – ترجمة محمد امين عبدالله.
- ملخصات بحوث مؤتمر حركة الهجرة العربية مدرسة، الدراسات الشرقية، والافريقية، لندن ابريل ١٩٩٥م.
- وندل فيليبس، تاريخ عمان ترجمة محمد امين عبدالله سلطنة عمان سنة ١٩٨١، سعيد عاشور تاريخ اهل عمان ١٩٨٠.
- حميد بن محمد بن رزيق. الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين تحقيق عبد المنعم عامر، د. محمد مرسي عبدالله – سلطنة عمان ١٩٧٧. وزارة التراث القومي والثقافة
- السيد سعيد بن سلطان، سلطان عمان وزنجبار ١٨٠٦ –١٨٥٦ انظر مذكرات أميرة عربية (هي السيدة سالمة بنت السيد سعيد) المقدمة بقلم عبد المجيد القيسي ص ١٠.
- سليمان عبد الغني المالكي : دور العرب وتأثيرهم في شرق أفريقيا ، ندوة العرب في أفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر ، القاهرة ، ١٩٨٧م ، جامعة القاهرة .
- سعيد بن علي المغيري: جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، وزارة التراث القومي، ط٤، سلطنة عُمان، ٢٠٠١م.
- سعيد بن سلطان، مؤسس إمبراطورية عربية أطاح بها الاستعمار"، مجلة العربي عدد١٦١ أبريل ١٩٧٢ .
- " تاريخ البوسعيد خلال الفترة: ١٧٤٣ – ١٨٠٤م"
- سلطان بن محمد القاسمي.تقسيم الإمبراطورية العُمانية (١٨٥٦ ـ ١٨٦٢)، دبي : مؤسسة البيان، ١٩٨٩.
- محاسن عبد القادر حاج الصافي : المؤثرات العربية الإسلامية على الساحل الشرقي لكينيا في القرن التاسع عشر ، مجلة الدراسات العربية الأفريقية ، العدد الثاني والثالث ، ١٩٩١م ، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية ، جامعة الخرطوم .

- **ابن بطوطة (٧٧٩هـ/١٣٧٧م): محمد بن عبد الله اللواتي، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤، ١٩٨٥م.**

الهوامش

(١) سعيد بن علي المغيري، جهينة الأخبار، ص ٢٤٧

(٢)سعيد المغيري ، جهينة الأخبار، ص٥٤٤.

(٣)سالم بن أحمد الطيواني، زنجبار منذ دخول الإسلام حتى قيام دولة اليعاربة، بحث مخطوط، ص١٢٢.

(٤)سعيد المغيري، جهينة الأخبار، ص٢٣٧.

يرجع إلى:(٥)
GRAY.J.M, AHMED BIN IBRAHIM
إبراهيم الصغيرون، الإسهام العُماني، ص ١٩٧

ملحق: خريطة الساحل الشرقي لأفريقيا في العصور الوسطى

المصدر: عبد الرحمن علي السديس: تطور حركة انتشار الإسلام في شرق افريقية في ظل دولة البوسعيديين